بسم اللّه الرحمان الرحيم

نص كلمة وزير الدولة معالي الأستاذ : أبوجرة عبد اللّه سلطاني

الجـــزائــر

أمــام

المؤتمر السابع لرابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٠٥-إلى ٠٧ ذو الحجة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ إلى ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٦

تحت عنوان :

نصــرة نبّي الأمة (صلى اللّه عليه و سلم)

المحور الثاني

أهداف الحملات و تداعياتها

الأهداف الاقتصادية

الجزائر في ١٢ من ذي القعدة ١٤٢٧هـ
الموافق ٠٣ ديسمبر ٢٠٠٦م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله و كفى و سلام على عباده الذين اصطفى.

السيد الأمين العام المحترم:

السادة العلماء الأكارم
الإخوة الفضلاء
ضيوف الرحمن

السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، و بعد:
أشكر رابطة العالم الإسلامي على الجهود التي تبذلها لنشر دين الله تعالى في أصقاع الأرض، و التمكين للإسلام في النفوس و العقول و الواقع، رغم الهجمات الشرسة على ديننا و ثوابتنا و قدوتنا محمد(صلى الله عليه و سلم)

كما أشكرها على تنظيمها هذا المؤتمر السابع لنصرة النبي صلى الله عليه و سلم، الذي أتشرف بالحديث أمامكم في المحور الثاني من أشغاله تحت عنوان: الأهداف الاقتصادية لنصرة المصطفى(صلى الله عليه و سلم)

أيها الإخوة الأفاضل:

الإساءة إلى الأنبياء و المرسلين(عليهم السلام) ليس موضوعا جديدا في مسار الدعــوات، و لا هو سلوك ابتدعته حضارة القرن الواحد و العشرين، فقد برزت هذه الظاهرة مقرونة بدعوات التوحيد منذ العهود الأولى التي بدأ فيها تاريخ التدافع بين الحق و الباطل حتى لا تفسد الأرض:" **و لولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**" **البقرة: ٢٥١ و لولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً...**"الحج : ٤٠

إن الجديد في مسار الإساءة إلى الأنبياء و المرسلين(عليهم السلام) هو الوسائل المتطورة، المتمثلة في تكنولوجيا النقل السريع و الانتشار الواسع للمعلومات و الأخبار، من الترويج للفكار إلى المنتوجات و البضائع إلى المواقع الالكترونية.. و سواها، مما استدعى تنويع وسائل التصدي للنصرة، ليكون الجزاء من جنس العمل، و ليكون رد الفعل بمثل صناعة الفعل:" **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**".البقرة ١٩٤.

و لأن شيوخي و أساتذتي الأفاضل الذين سبقوني بالحديث، قد استعرضوا تاريخية الحملات على ديننا و دعوتنا و أنبياء الله تعالى، و تناول بعضهم بالحديث و البيان بعض وسائل التصدي المتناسب مع حجم الحملة على نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه و سلم) فإني سأكتفي-في هذا العرض الموجز- بالكشف عن أهمية سلاح المقاومة الاقتصادية و تداعياتها على مصالح خصوم الإسلام.

أولا: شرعية المقاومة الاقتصادية: لكل عصر وسائله و أسلحته و رجاله، و كل وسيلة متاحة و مباحة جاز للمسلمين استخدامها ابتداءا لنشر رسالة الإسلام، كما يجوز لهم تطويرها لمواجهة ما يستجد من أساليب عدوانية على دين الله تعالى، و الانتقاص من مقام أنبيائه و أصفيائه، مما يدخل في دائرة المفهوم الواسع لكلمة الجهاد التي يراد لها اليوم أن تنحسر مفاهيمها و مقاصدها في الحركات القلقة باسم مكافحة الإرهاب ووصم كل مرابط على ثغور الدعوة إلى الله بالتطرف و التعصب، بما في ذلك بعض الدول الداعية إلى الخير، الراعية للإسلام و المحافظة على كينونتها و هويتها و صلتها بالسماء.

فحق الرد على العدوان مكفول بالكتاب و السنة و إجماع الأمة، و حق الدفاع عن النفس مبدأ تقره كل الاتفاقيات الدولية و القوانين الوضعية، و قد استخدم الأنبياء و المرسلون (عليهم السلام) مختلف الأسلحة المتاحة في زمانهم لحماية دعوتهم و الذب عن حياض دينهم، وقد أبرز محمد (صلى الله عليه و سلم) في سيرته العطرة، سمات جهادية متنوعة، كان من بينهما سلاح المقاومة الاقتصادية، و الأمثلة على ذلك كثيرة و الوقائع أكثر من أن تحص، و لعل في دروس غزوة بدر ما يكشف بجلاء عن هذه الحقيقة.

فقد كان من أهدافها إضعاف تجارة قريش و هز ثقة شركائهم فيهم بسد طريق القوافل الغادية و الرائحة، قصد كسر هيبة الكفر، و ضرب ما يشبه"الحصار الاقتصادي" على معسكر الشرك بالممانعة، و المقاطعة، و التهديد بتحويل القوافل التجارية عن مساراتها التي كانت آمنة.

و قد سجلت كتب السير و المغازي كثيرا من التحركات الجهادية الموجهة من طرف الرسول (صلى الله عليه و سلم) توجيها دقيقا كان الهدف منها أساسا:

- إضعاف اقتصاديات العدو بمحاصرته نفسيا و جغرافيا و عسكريا...
- إرباك خطوط سير القوافل بحركات جهادية في شكل سرايا و غزوات
- إشعار "حلفاء" المشركين بأن مصالحهم لم تعد آمنة في مكة و ضواحيها.
- الكشف عن شمولية الإسلام وواقعيته، كونه دينا يهتم بالصناعة و التجارة و السياسة.. كاهتمامه بالصلاة و الزكاة و الصوم..الخ
- إشراك الصحابة جميعا(عليهم الرضوان) في كل مراتب الجهاد لاسترجاع بعض ما سلب منهم، و لا سيما المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم فارين بدينهم: "**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجـروا و أخرجوا من ديارهم و أوذوا في سبيلي و قاتلوا و قتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم و لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار**..."آل عمران : ١٩٥

و بهذا الفقه الواقعي المتناسب مع الطبيعة البشرية و مع واقع التحولات، استخدم الرسول(صلى الله عليه و سلم) سلاح المقاومة الاقتصادية لتضييق الخناق عن المشركين و يهود المدينة و من ورائهم كل الأحزاب الذين تحالفوا على كسر شوكة الإســـــــلام و تجمعوا يوم الخندق،و لكن كفى الله المؤمنين القتال.

و قد يمكن القول إجمالا:

إن سرايا الرسول(صلى الله عليه و سلم) الأولى،و كذلك بعض غزواته استهدفت بالأساس هذا المعنى الاقتصادي بمحاولة سد طرق التجارة القرشية التي كانت آمنة في الاتجاهيـــــن و في الموسمين:

-تجارة قريش إلى الشام شمالا

- و تجارتهم إلى اليمن جنوبا

في رحلتي الشتاء و الصيف، الوارد كرهما في سورة قريش، و قد أحس المشركون -مع بداية إرسال الطلائع و السرايا و الغزوات الأولى- أن مصالحهم صارت مهددة تهديدا جادا، و أن مخططات الإسلام في التصدي لخصومه لم تعد محصورة في تسفيه أحلامهم و كشف زيف شركهم و تعرية ضلالهم...بل توجهت-مع ذلك و بعد ذلك- إلى ضرب مفهوم"الإيلاف" القريشي الذي كانوا عليه قبل أن يعلنوا حربهم على الإسلام و رموزه و قدوته محمد (صلى الله عليه و سلم).

في قوله تبارك و تعالى:"**لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف**..." قريش :١,٢

و في نفس السياق التاريخي، و ضمن منهجية سنية نبوية واضحة المعالم، كانت تستهدف ضرب القدرات الاقتصادية و سد منافذ القوة التجارية، و قصقصة أجنحة الشـــــــرك و تضييق شرايين الدماء الحيوية المتدفقة إلى قلبه النابض بمكة المكرمة، و ضرب التحالفات المستهدفة و تقويض أركان الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة،و سع رسول الله(صلى الله عليه و سلم) حركة الحصار الاقتصادي المضروب على المشركين ليشمل أحلافهم:

فحاصر المتآمرين على دعوته في يثرب(المدينة المنورة) من يهود بني النضير- الذين كان قد شملهم برحمة الإسلام يوم كتب الصحيفة الشهيرة- فنقضوا العهود و قلبوا الأمور، و أداروا لـــه و لرسالته ظهر المجن، فما كان منه(صلى الله عليه و سلم) إلا أن يأمر بمحاصرتهم في بيوتهم و قطع نخيلهم و إتلاف بعض مزارعهم نكاية فيهم و تخويفا من عاقبة التلاعب بمواثيق الأنبياء و المرسلين.

و كانت هذه الحادثة درسا اقتصاديا بارعا في قطع شرايين القوة الاقتصادية لبقية من تسول لهم أنفسهم التآمر على الدعوة الناشئة **و رجالها**.
بل ذهب (صلى الله عليه و سلم) إلى أبعد من ذلك-و هو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين-فأمر بطردهم من المدينة و إجلائهم منها بعد أن خربوا اقتصادهم بأيديهم:" **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا و ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا و قذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين فاعتبروا يأولى الأبصار**" الحشر: الآية ٢.

- كما وسع رسول الله (صلى الله عله و سلم) دائرة الحصار الاقتصادي للتضييق على كل من تسول له نفسه الإساءة إلى هذا الدين من قريب أو من بعيد، فحرك (صلى الله عليه و سلم) آليات الحصار على الطائف و أهلها-بعد فتح مكة المكرمة- كونها كانت جهة ضاغطة على اقتصاديات المنطقة، لاسيما في النشاط الزراعي، و أمر (صلى الله عليه و سلم) بقطع أعناب ثقيف، و تحريقها و إتلافها.

و تحقق الهدف حينما دب الذعر إلى قلوب سادة ثقيف و أيقن الرأي العام، في مكة و ما حولها، أن دعوة الإسلام بالغة ما بلغ الليل و النهار بعز عزيز أو بذل ذليل.
بل إن بعض الصحابة عليهم الرضوان قد سلكوا هذا المسلك مع بعض أقوامهم المشركين المحاربين للإسلام، أو ضد المشركين إبتداء، فقد سجلت كتب السير أن ثمامة بن آثال الحنفي رضي الله عنه، قدم مكة قبل فتحها معتمرًا فسمح بمؤمرات بقايا المشركين و لاحظ جبروت قريش و كراهيتهم لمحمد (صلى الله عليه و سلم) و أصحابه الكرام و معاداتهم للإسلام فأعلن في بطحاء مكه"المقاطعة الاقتصادية" لقريش و خطب فيهم قائلا:" و الله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن في ذلك رسول الله(صلى الله عليه و سلم".
و بدأ سريان مفعول هذا القرار الشجاع، و حبست اليمامة عن مكة ميرتها حتى جهد أهلها، و قد أقر رسول الله (صلى الله عليه و سلم) هذا الصحابي على هذا الصنيع لما فيه من مقصد إضعاف للعدو و غيظ لقلوب المشركين و نكاية فيهم.
نكتفي بهذه النماذج، لبيان أن الإسلام قد شرع لمثل هذه الأساليب في التصدي لإعـــــدائه و قمع خصومه بتنويع أساليب الجهاد السلمي في حدود الوسع و القـــدرة و الاستطاعة، و حديث كل ذلك مبسوط في كتب الفقه قديمها و حديثها.
ثانيا: التداعيات الاقتصادية: لا أحب أن أغرق الموضوع في الأرقام و الإحصائيـــات، و لكني سأسوق بعض المؤشرات المالية للاستئناس بها كدلالات على خطورة المعركة الاقتصادية في ميدان التدافع الحضاري بين أنصار الإسلام و خصومه بعد أن إنحسر نقاب المعركة و قلب أعداؤنا لنا ظهر المجن(من سلمان رشدي إلى تسليمة نسرين، إلى الصحف الدنماركية إلى سماحة بابا الفاتيكان بنديكت١٦.. و القائمة طويلة).
آخر الإحصائيات المالية و المصرفية تقدر كتلة الأموال العربية- و أقول العربية فـــقط و ليس مجموع المال الإسلامي-المودعة في بنوك خارجية أو المستثمرة خارج أوطانها بأزيد من ٢٤٠٠ مليار دولار(فقد كان الرقم المتداول ٨٠٠ مليار دولار!) و أن ما يتداول في الأقطار العربية من الرأسمال العالمي لا في مجال الاستثمار يكاد يتجاوز ١ %) أكثره موجه للاستيـــراد و التصدير، خارج المحروقات، و الكل يعلم أن أزيد من ٤٥ % من التجارة العالمية تمر عبر ممرات العالم الإسلامي-بين قناة السويس و الخليج العربي و البحر الأبيض المتوسط-بحيث تصل معدلات الاستيراد الموجه للاستهلاك (و ليس للاستثمار) ما يزيد عن

٨٥% من السلع الموجهة للعالم الإسلامي لتكريس التبعية الاقتصادية للآخر(و قد كشفت معركة الصور الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله (صلى الله عليه و سلم) عن هذه الحقيقة عندما وجدنا أنفسنا ضحايا الأجبان الدنماركية و الأنسولين المصنع في هذه الديار!؟) عندما جربنا مقاطعة سلع البلد المسيء لنا كنوع من التعبير عن غضبتنا لرسولنا و ديننا و هويتنا الإسلامية.

و الأدهى من ذلك أن مستويات التجارة البينية العربية(لمجموع الدول المنضوية تحت لواء الجامعة العربية لم تتجاوز عتبة ٨,٥%) بقليل منها و أكثر التجارة البينية لمجموع الدول المنضوية تحت قبة المؤتمر الإسلامي حيث مازالت تتراوح بين ١٢ إلى ١٥% في أفضل حالاتها.

فالحبوب،و الألبان و الألبان، و الزيوت و اللحوم، و السكر و الشاي،و القهوة، و نسبة عالية من الأدوية و الألبسة، و حتى مواد البناء.. تستوردها الأمة الإسلامية من بلدان غير إسلامية، و هي قادرة على إنتاجها و تسويقها بل بعض بلداننا الإسلامية تستوردها من بلدان عدوة أحيانا، تقيم مصانعها و معاملها وورشات الإنتاج لفائدتها في بلدان مجاورة للعالم العربي و للدول الإسلامية، ، و تصدر للأمة هذه المنتوجات الاستهلاكية لإضعافها و صرف جهود أبنائها عن التخطيط للخروج من التبعية نهائيا.

بل إن أنظمة تنتمي إليها الأمة الإسلامية سياسيا أو جغرافيا في عالمنا الإسلامي تستكر على شعوبها سلاح المقاطعة فارضة عليها شروط" التطبيع" المشين الذي لم تجن منه هذه الأنظمة إلا المزيد من الهوان:" و لن ترض عنك اليهود و لا نصارى حتى تتبع ملتهم"البقرة : ١٢٠.

صحيح،إن المقاطعة لا تعني فقط الجانب الاقتصادي(فهناك مقاطعة ثقافية، و سياحية، و رياضية، و اجتماعية، و تجارية، و عسكرية) بل هناك مقاطعة نفسية أيضا، و لكني ما دمت أتحدث في المحور الاقتصادي فمن الواجب الإشارة- و لو بشكل تذكير عارض-إلى ضرورة التكامل بين أطراف هذه المعادلة الاستراتيجية في حرب طويلة بدأها رسول الله'(صلى الله عليه و سلم) ضد خصوم الإسلام و أعداء الإنسانية منذ أن أعلمه رب العزة تبارك و تعالى بأن الحرب مستمرة و المعارك تتنوع أسلحتها ووسائلها، و تتعدد جبهاتها و تزداد عساكرها و تتسع مساحاتها.. و لكن نتيجتها واحده هي : الصد عن سبيل الله، و تحويل المسلمين عن ملتهم إلى الكفر بعد الايمان:" **و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا**" البقرة : ٢١٧.

و قوله تعالى:" **الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**.." الأنفال : ٣٦.

ثالثا: التوازن السيكولوجي: يقول المنهزمون نفسيا إن المقاطعة ستجلب علينا الدمار، و يردد المسلوبون حضاريا مقالات مثبطة مفادها أن الضعيف لا يضعف القوي، و أن المقاطعة الاقتصادية لخصومنا لا تؤثر فيهم، بل تؤثر فينا، لأننا نحن الطرف المستهلك و الجهة المنتفعة، و يردد آخرون: إن غلق المصانع التابعة لأعدائنا في البلاد الاسلامية سيتسبب في تسريح الآف العمال، و يدفع باتجاه إحداث توترات اجتماعية لا قبل لأنظمتنا بها.. و سوى ذلك.

و الجواب على هذه التثبيطات و مثيلاتها كثيرة نتناولها في عجالة من أربعة أوجه:

الوجه الأول قرآني: فقد أمرنا ربنا تبارك و تعالى بالاستعلاء الايماني وعدنا بالنصر و الغلبة الحضارية على خصومنا إذ تسلحنا بمحض إرادتنا بخالص الايمان و التزمنا حقيقة التوحيد و

صفاء العقيدة، و ترفعنا عن مواطن الهوان و دهاليز الأحزان:" **و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم العلون إن كنتم مؤمنين..**"آل عمران : ١٣٩.
و الآيات، في هذا الباب كثيرة، و مثلها الأحاديث الشريفة و آثار السلف الصالح.
الوجه الثاني تاريخي: فتاريخ الإسلام، في كل محطاته، يؤكد أن سلاح العقيدة أمضى، و ان الفتوحات الإسلامية لم يؤطرها السيف، إنما فتح لها الطريق، ليقذف أصحاب الحق بالحق على الباطل المبطلين فيدمغه فإذا هو زاهق:" **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**". الأنبياء :١٨.
و هكذا كان الحال من أول صدام مسلح بين معسكر الايمان و معسكر الكفر (في غزوة بدر) إلى أن تواقفت خيول الفاتحين على أسوار فينا شمالا، و جاست خلال المحيط الأطلسي غربا إلى الفلبين شرقا إلى غانا جنوبا.
لقد كان الفاتحون" جياعا" حفاة و عراة.. بمقياس المادة، و كانوا يحملون أسلحة خفيفة بتقدير التوازن الاستراتيجي، و لكنهم كانوا أصحاب قضية و حمله رسالة" لو هموا بخلع الجبال لخلعوها" كما وصفهم بذلك أمبراطور الصين!
الوجه الثالث نفسي: المعارك لا تحسم في الميدان،فالحسم في الميدان نتيجة طبيعة لمعارك سابقة عن معركة الميدان كان قد تم حسمها في داخل الوجدان ابتداءا، و هي المعادلة القرآنية التي نسميها بمعادلة" المطلوب و الموعود" و يسميها البعض معادلة العمل و الجزاء، و يسميها علماء اللغة فعل الشرط و جوابه.
فالله تعالى يأمر بالبدإ و يعد بالختام، أو يشترط الفعل و يتولى، سبحانه الجواب، و يأمرنا بالبلاغ و يتولى هو الحساب، في معادلات قرآنية متواتره من مثل قوله تعالى:

- و أن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم
- و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب.
- قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم...
- ....إلخ

و لأن الهزائم النفسية قد استحكمت حلقاتها داخل النفس البشرية في عالمنا الإسلامي، جراء الضخ المتوالي للأفكار المستوردة في كثير من منظوماتنا الفكرية و اللغوية و التربوية و الاجتماعية.. و سواها، فإن حصاد الهشيم كان هزائم متتالية على جبهات التدافع بين حقنا و باطل الآخرين، و الذي بالامتناع عنه يتحقق نقيضه:" **و لولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**"البقرة : ١٥٢.
إن الهزيمة النفسية، لبعض أجيال الأمة الإسلامية، إنما تأكدت في الواقع يوم إكتفت هذه الأجيال بانتظار المرغوب دون قيامها بأداء المطلوب (يسألون الله النصرة و ما نصروا دينه، و ينتظرون من الله مخارج لما هم فيهم من أزمات و ما تحققت تقوى الله في أنفسهم..إلخ)
إن المقاطعة الاقتصادية لا تعني حسابات الربح و الخسارة المادية بقدر ما تعني الالتزام بفعل الشرط بانتظار تحقق الجواب، و تنفيذ المطلوب من الله تعالى و اليقين بتحقيق المرغوب منه سبحانه و تعالى.
فاستنفار طاقات الأمة بالمقاطعة و الممانعة و الترك و الصبر على ذلك من أفضل القربات التي سوف يكتبها التاريخ في سجل" الغاضبين لنبيهم" و المنتفضين ضد المسيئين لدينهم، و سوف تسترد الأمة بهذه الغضبة مكونات وحدتها الشعورية و مقومات وجودها الحضاري
- بالقدرة على القاطعة و الممانعة و الترك و الصمود..

- بتعرية الخصوم أمام الرأي العام العالمي حتى يعتذروا
- بتوهين عزائم الأعداء و كشف مخططات الإذلال و الاستعباد و التعبئة الإلحاق
- بنسف جسور التطبيع مع أعداء الله، و جرهم إلى ساحات الوغى في ضوء الشمس، حيث تختل موازين الرعب الاستراتيجي(النووي و البيولوجي) و يرتفع منسوب أسهم الإيمان:" **لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر**.."الحشر :١٤.

- **و الوجه الرابع إجرائي:** أي تسجيل الحضور الرمزي بالامتناع الفكري و السلوكي، و تكييف المعادات القديمة(الاستهلاكية) و تطويعها للاستلزامات الشرعية التي تأمر المسلمين جميعا بأن لا يكونوا كالذين آذوا موسى(عليه السلام):" **يأأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله مما قالوا و كان عند الله وجيها**"الأحزاب : ٦٩.

و الاجراءات التي نقصدها في مسألة المقاطعة، أو الحصار الاقتصادي، هو الامتناع عن تسليم الخد الأيسر لمن صفع كرامة الأمة كلها على خدها الأيمن.

إن رجلا كبيرا إستحق الزعامة في قومه مثل "المهاتما غاندي" قد إتبع إستراتيجية" المقاومة السلبية" لإسقاط الاستعمار البريطاني و إجلائه عن بلده (الهند) عندما أدرك أن الاحتلال تحكمه المصالح و ليس المبادئ، فقام يحرض أتباعه على إرخاص البضائع البريطانية بتركها و العودة إلى الطين و المغزل و الحياة البدائية، و بالفعل أربك مخططات الاحتلال و هدد مصالحهم و تم الجلاء و استحق بجدارة لقب"المهاتما".

هل يعقل أن يكون غير المسلمين أحرص على أوطانهم و حرياتهم منا؟ و هل صارت عادات المأكل و المشرب و الملبس و المسكن و المنكح متحكمة في عقائدنا و أخلاقنا و سلوكاتنا، بل قراراتنا المصيرية؟ و هل بلغ بالأمة الهوان دركات الإخلاد إلى الأرض و اتباع الهوى و اللهات حال الحمل و حال الترك؟!

الجواب،لا، فامتنا بخير، و الخير فيها إلى يوم القيامة، و مع أنها اليوم تواجه هجمات شرسة على جبهات متنوعة تستهدف لغتها و دينها و هويتها ووحدتها، بل و"كينونتها" في الوجود إلا إنها مازالت أمة حية مقاومة.

نعم هناك تيارات في الأمة، بدأت تستسلم لمصيرها و ترضى بسياسة الأمر الواقع تجاه ما صار يعرف اليوم بصدام الحضارات المفروض على أمتنا بالعنف و الإكراه، ولكن هناك تيارات صامدة، و يمكن تقسيمها إلى تيارين هما:

- تيار المقاومة الحضارية بالوسائل المشروعة
- و تيار الاستسلام و التطبيع و رفع الرايات البيضاء. و لكن الأمة في عمومها مازالت حية و غالبا عليها"عموم الصلاح" مع ما يعزو بعض أكنافها من هوان و فساد و استسلام في معركة الصمود، و مازالت الأمة تتذكر أمجادها و تحي مآثره، و تدرك أن المقاطعة الاقتصادية منهج قرآني و سنة نبوية و موطن إجتهاد قائم إلى القيام الساعة كاما تجددت أسبابه :
- فقد أفتى العزبن عبد السلام بمقاطعة التتار الذين حاربوا الاسلام و أهله، و حرم بيع السلحة لهم أو تمكينهم مما يقويهم و يعينهم على قتال المسلمين، و مثله فعل الامام ابن تيمية رحمه الله، و القائد صلاح الدين الأيوبي قبل موقعة حطين استعدادا لارباك الصليبين و تفتيت وحدة صفهم، فأمر بقطع كل صلات التعامل الاقتصادي و التجاري معهم.. و هكذا.

الخاتمة: عالمنا اليوم تحكمه المصالح و لا يكاد يعترف بالمبادئ و القيم، و خصومنا ممعنون في الإساءة إلينا ضمن مخطط عالمي، ثم يتحججون بحرية التعبير و الحريات المجاوره و اللصيقة بالحياة الخاصة و الشخصية لكل إنسان، و العلاقات بين الدول – في كل مستوياتها الرسمية و غير الرسمية و الثنائية و المتعددة – كلها تحكمها المصالح المتبادلة بين هذه الدول و تلك، و هي تحرص على تعميقها و توسيعها و تمتينها، و نحن من دعاة ذلك معهم و لكن بشرطين:

- احترام مشاعر أهل الايمان و عدم استفزازهم
- مراعاة ثوابت الأمة و مبادئها و عقائدها و أخلاقها، في ما يعرف في لغة المفاوضات" بالخصوصيات"

إن مواردنا ضخمة، و هي هبة الله لنا، و اقتصادياتنا، مع كونها نامية، إلا أنها واعدة، و أسواقنا الاستهلاكية مغرية للجميع، فهناك ١,٥ مليار مسلم يستهلكون أكثر من ٨٥% من السلع المستوردة، وإذا استفحلت المعارك بيننا و بينا خصومنا فإننا لن نجد من يقف معنا في كل معاركنا الشريفة إلا ثلاثة أصناف من الناس:

- الشعوب الإسلامية المتطلعة إلى وحدة الأمة و عزتها و كرامتها
- العلماء و الدعاة، و من في حكمهم، من المخلصين الصامدين المحتسبين
- أصحاب المصالح الذين يعرفون أن المقاطعة الغاضبة، و المواجهة الاقتصادية المؤمنة بعدالة المعركة و الممانعة التجارية الطويلة سوف تضر بمصالحهم و تتسبب لهم في انهيارات مالية و اقتصادية مفجعة.

إن دعوتنا لا تستهدف الإساءة إلى أحد و إنما تستهدف استنهاض همم الأمة و تحريك إكسير الإيمان فيها لإحياء نداء الفطرة فيها، فترفض كل ما هو"منكر" و تهب لتغييره باليد، و اللسان، و القلب تنفيذا الأوامر المصطفى (صلى الله عليه و سلم)

و هل هناك منكر أشنع من الإساءة المبرمجة لديننا و قرآننا و رسولنا و تاريخنا و أمجاد امتنا؟

إن السكوت عن المظالم ظلم،و التماس الأعذار للمسيئين لديننا خيانة، و الردود المتشنجة ليست من منهج الإسلام، و الحركات المتوترة لا تسقي زرعا ولا تدر ضرعا، و الطريق السوي لنصرة نبّي الأمة، يتمثل في وضع خطط هادئة هادية هادفة و تجسيدها في الميدان على مدى متوسط و طويل يكون من أهدافها خمسة مقاصد كبرى فيها خير للإنسانية جمعاء.

١- فتح أبواب الحوار المثمر للبلاغ الهادئ و البيان الواضح ليعرف خصوم هذا الدين أن الإسلام رحمة للعالمين، رحمة لهم جميعا، و أن نبئ الإسلام بعث للناس كافة بشيراً و نذيرًا.

٢- تحسيس العلمي و التاريخي العالم كله، و الحاقدين على الإسلام بشكل خاص، أن الأمة الإسلامية مازالت حية، و أنها قادرة على الرد بالمثل، و لكن دينها يمنعها، و يدعوها – بالمقابل – إلى زرع ثقافة الخير في الناس : "و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير"آل عمران : ١٠٤.

٣- الكشف عن عدوانية الآخر لنا، مع كل ما قدمناه من تنازلات بلغت حد "التطبيع" مع كيان غاصب لأرضنا، و مع ذلك مازلت بعض شرائح هذه الأمة تعمل على تقوية اقتصادياتهم و الترويج لبضائعهم في أسواقنا العربية و الإسلامية.

٤- الكشف عن مخططات خصوم الإسلام (منذ الحرب الصليبية و إلى اليوم) و نشر ذلك في كتب و صحف و مواقع اليكترونية، ليعرف العالم كله أن حجم "المؤمرة على الإسلام" و الواقفين وراء زعزعة الإستقرار العالمي و يدرك الرأي العام الدولي أن حقيقة المعركة ليست مجرد صور مسيئة أو خطاب حاقد أو تصريحات فالتة..و إنما هي مخططات تقف وراءها مؤسسات دولية و تمولها جهات لم تعد خافية، و أن نسبة عالية من هذه الأموال تؤخذ من جيوبنا و بنوكنا (و قد كشفت حملة مقاطعة البضائع الإسرائيلية عن خسارة تجاوزت الـــ١٠٠ مليار دولار بين سنوات ٨٧-٢٠٠١ في الأسواق المروجة للمنتوجات التابعة للعدو ! ؟)

٥- حماية الأجيال الصاعدة من تبعات زرع ثقافة الأحقاد و تداعيات استفزاز مشاعر أهل الإيمان، و تربية أجيالنا على معاني الإباء و فضائل العزة و الكرامة و الافتخار بالانتساب للإسلام : "**و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحا و قال إنني من المسلمين**" فصلت : ٣٣.

و يبقي أن أذكّر، في الختام بأن الأهداف الاقتصادية المتوخاة من وراء التصدي لهذه الحملة، بل الحملات، المستهدفة الإساءة إلى نبي الأمة الإسلامية (ص) هي جزء من فروض الأعيان التي يترتب على كل مسلم فرد الالتزام بها كجزء من التزاماته الشرعية، و ليصبر على ذلك و ليحتسب، فإن النصر مع الصبر"و المؤمنون تتكافأ دماؤهم، و يسعى بذمتهم أدناهم، و هم يد على من سواهم" رواه أحمد.

و القاعدة في كل ذلك :

أن من جهز غازيا فقد غزا، و القياس يقتضي القول : أن من منع عن المعتدين معونة أو تسبب في إضعاف اقتصدياتهم فقد سعى في قوة المسلمين و نصرتهم، و قد يكون مسعى إضعاف العدو- في هذه الحالة - مقدماً على جهد تقوية الصديق، قياساً على قاعدة : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

و هل هناك مفسدة للأمة أعظم من السكوت عن الإساءة إلى ديننا و نبينا؟ و هل هناك مصلحة أولى و أعظم من مصلحة نصرة نبي هذه الأمة؟

فداك أبي و أمي يارســـــول الله.

و الحمد لله رب العالمين
و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.